المحاضرة الأولى: الاستشراق الفرنسي في الجزائر

يعد الاستشراق ذاك التيار الفكري الغربي المتمثل في الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي والتي شملت حضاراته وأديانه وآدابه ولغاته وثقافته. وقد أسهم الاستشراق الفرنسي بدورٍ ريادي ٍّ في صياغة التصورات الغربية عن المشرق والمغرب بصورةٍ خاصةٍ، إذ منذ العصور الوسطى إلى العصر الحديث شهدت فرنسا دورًا متناميًا في التأسيس لحركة الاستشراق باعتبارها نقطة ارتكازٍ رئيسةٍ في العلاقات الثقافية بين الشرق والغرب .

تعريف الاستشراق لغة: كلمة استشرق تعني« طلب علوم الشرق ولغاتهم» ، والشرق، يعني أيضا الشمس، أو الجهة التي تشرق منها

أما اصطلاحًا، فالاستشراق :orientalisme يعني «علم الشرق أو علم العالم الشرقي» كما يقصد به تلك الدراسةالغربية للشرق كدراسة العلوم والآداب والثقافة الاسلامية بهدف معرفية عقلية المسلمين وأفكارهم واتجاهاتهم وأسباب قوتهم ومواطن ضعفهم.

وقد عرفه حسن الزيات على أنه« دراسة الغربيين لتاريخ الشرق وأممه ولغاته وآدابه، وعلومه وعاداته ومعتقداته وأساطير لكنه في العصر الوسيطية كان يقصد به دراسة العبرية لصلتها بالدين ودراسة العربية لعلاقتها بالعلم، إذ بينما كان الشرق من أدناه إلى أقصاه مغمورا بما شعته منائر بغداد والقاهرة من أضواء المدنية والعلم كان الغرب من بحره إلى محيطه غارقا في غياهب من الجهل والبربرية.

ويعرف كذلك على أنه « اشتغال غير المسلمين بعلوم المسلمين، بغض النظرعن وجهة المشتغل الجغرافية وانتماءاته الدينية والثقافية والفكرية.

تعريف المستشرق:«هوعالم متمكن من المعارف الخاصة بالشرق ولغاته وآدابه» وليس من الضروري أن برحل هذا المشتشرق إلى الشرق ليعيش فيه أو يتطبع بطباعه أو حضارته أو يعتنق إسلامه أو يتحدث لغته، فهو يدرس هذا الشرق من خلال الجامعات الغربية في وطنه، وان كان رحيله إلى الشرق يساعده على الإلمام بكل واردة وشاردة في أبحاثه ودراساته .

كما أن المستشرق هو كل من يقوم بدراسة الشرق أو الكتابة عنه أو البحث فيه، سواءً أكان المرء مختصًّا بعلم الإنسان أو بعلم الاجتماع أم كان مؤرخًا أو فقيهَ لغةٍ... ، فهو مستشرقٌ وما يقوم به هو استشراقٌ.

الجذور التاريخية للاستشراق

لا يوجد اتفاق بين الباحثين على تحديد البدايات الأولى لظهور الاستشراق فمنهم من أرجعها إلى القرون الأولى للميلاد ;ومنهم من أرجعها الازدهار والتطور الذي عرفه العالم الاسلامي خلال الحقبة الأندلسية حيث «انتشرت المدارس والجامعات عبرالعالم الاسلامي، وذاع صيتها في الدول الأوروبية كفرنسا وانجلترا وهولندا التي قامت بارسال البعثات العلمية إلى بلاد الأندلس لدراسة العلوم والفنون في معاهدها» ومنهم من يرى أنه جاء كرد فعل من الغرب على الإسلام قصد معرفة القوة الدافعة لأبنائه وخاصة بعد فتح القسنطنطينية على يج محمد الفاتح عام 1453م، فاهتموا بدراسة اللغة العربية وآدابها وتفاسيرها وأديان الشعوب التي أرادوا استعمارها، ومنهم من يرى أن بداية ظهور الاستشراق كانت مع الرهبان الذين قصدوا الأندلس إبان مجدها طلبا للعلم، ومنهم من جعل الحروب الصليبية بداية لنشأة الظاهرة الأستشراقية، حيث بدأ الاحتكاك الديني والسياسي بين الإسلام والنصرانية.

مراحل الاستشراق: مر الاستشراق بمراحل حتى وصل إلى ماهو عليه الآن

المرحلة الأولى: وتمتد قبل عصر النهضة الأوروبية حيث كانت بدايته فردية وغير منتظمة ليتطور وينظم في مؤسسات رسمية خاصة كالجامعات والمعاهد، وقد اتسم بالصراع والعداء للإسلام.

المرحلة الثانية: وتمتد من عصر النهضة حتى نهاية القرن 18م وقد اتسم بالنزعة الانسانية والعقلية، وقد كانت هاتان النزعتين في دراسة الشرق الإسلامي أكثر موضوعية وأكثر عقلانية.

المرحلة الثالثة: تمتد من من القرن 19م إلى يومنا هذا وقد غلب عليه العد للشرق والإسلام وكتب الكثير من المفكرين عن نشأة الاشتشراق وتاريخه .

أهداف الاستشراق ودوافعه : تنوعت أهداف الاستشراق ودوافعه تبعاً لمكانة المستشرق والجهة التي تتبناه

1_ **الدافع الديني :** ويعتبر الهدف الأبرز للاستشراق الذي نشأ منذ بدايته في رعاية الكنيسة التي جندت كل طاقاتها لمحاربة الدين الإسلامي وتشويه صورته خاصة بعد انتشاره في أوروبا حيث « سعى الرهبان والقساوسة إلى تعلم اللغة العربية والتضلع في الدراسات الإسلامية بغية فهم هذا الدين ثم نقضه من أساسه ورد أتباعه إلى دياناتهم» وهنا يظهر خوف رجال الكنيسة على دينهم المسيحي المحرف وتيقنهم أن«الإسلام دين الفطرة وإذا أتيح لغير المسلمين التعرف عليه ودراسته في جو من الاتزان لما ترددوا في

الإيمان والرضا به دينا» جاء الاستشراق بديلاً عن الحروب الصليبية لتحطيم عقيدة المسلمين وفكرهم، والعمل على نشر عقيدة النصارى، ولتحقيق هذا الغرض عملوا على محاربة الإسلام عبر تنصير المسلمين، ومحاولة حجب الإسلام الحق عن الأوروبيين وبث دراسات منحازة ضد الإسلام.

2_ **الدافع السياسي:** وهوالصراع القائم بين الشرق والغرب وقد ساهم في ذلك «تشجيع رجال الدين للساسة الأجانب لاحتلال بلاد الشرق التي تحوي المقدسات الدينية معوضين الخسائر التي مني بها الغرب مرارا وتكرارا في اعتدائه على الشرق، خاصة في فترة الحروب الصليبية» وقد زاد هذا الصراع مع بداية التوسع الاستعماري في دول العالم العربي والاسلامي خلال ق19م وق20م، والتكالب الذي تبديه أمريكا وحلفائها على دول العالم الثالث خاصة بعد أحداث 11سبتمبر2001 المفتعلة خير دليل على ذلك .

3_ **الدافع العلمي:** لم تكن أوروبا تنهض نهضتها دون أن تأخذ بأسباب ومنها دراسة منجزات الحضارة الاسلامية، فلم يترك العلماء الغربيون مجالا كتب فيه العلماء المسلمون حتى درسوا هذه الكتابات وترجموا عنها وأخذوا منها ، ولم يقفوا عند هذا بل نقلوا إلى أهليهم في الغرب ما أخذوه عن المسلمين من علوم حتى يتفوقوا عليهم، ويتخلصوا من سيطرتهم، وظل هؤلاء المستشرقون يدرسون وينقلون تلك العلوم على يد العرب والمسلمين محتفظين لأنفسهم بعقائدهم واتجاهاتهم البغيضة نحو الإسلام والمسلمين ، «ولهذا نرى في فجر الاستشراق انكبابا واضحا على العلوم الكيمائية والرياضية والفلسفية من رواد الاستشراق وكبار الرهبان، قفد تأسست الجمعيات العلمية في معظم الدول الغربية، وهو غرض علمي يستهدف انهاض الغرب» لتحقيق إقلاع حضاري وثقافي في مختلف الجوانب.

4-**الدافع الإقتصادي والتجاري:** سعت الدول الغربية البحث عن أسواق خارجية لبيع بضائعها واكتساب مواد أولية خام لتزويد صناعتهم وتطويرها ولم يقتصرالاستشراق الاستثمار التجاري على المواد الأولية المادية فقط بل تعداه إلى المادة الثقافية كنهضة لطلب الرزق إذ هناك «كثيلا من أصحاب المكتبات التجارية والقائمين عليها يشجعون نشر المؤلفات والكتب التي تدور حول الاسلاميات والشرقيات ويشرفون على نشرها، لما يدور لها من سوق نافعة في أوروبا وآسيا، وتناول هذه المؤلفات من القبول والإعجاب ، مما يجعلها عظيمة الانمتشار، كثيرة الذيوع، ولاشك وسيلة لتجارة رابحة وكسب أموال.

5_**الدافع الاستعماري:** وهذا ما يؤكد العلاقة المرتبطة بين الاستشراق والاستعمار فكل منهما يكمل الآخر فقد كان «التبرير الاستشراقي للسيادة الاستعمارية قد تم قبل حدوث السيطرة الاستعمارية على الشرق وليس بعد حدوثها، فقد كان التراث الاستشراقي بمثابة دليل للاستعمار في شعاب الشرق وأوديته، من أجل فرض السيطرة على الشرق واخضاع شعوبه وإذلالها » وما يؤكد ما نذهب إليه هو «اعتماد نابليون بونابرت قائد الغزو الفرنسي على مصر على جهود المستشرقين والأخذ بمشورتهم وتوجيههم واستخدام معرفتهم بالاسلام والمسلمين في الأغراض الاستعمارية بفرض السيطرة والتوسع وهذا ما يؤكد العلاقة المشبوهة بين المستشرق والمستعمر ، إذ نجد أن الاستشراق الفرنسي في بداياته الأولى قد ضم بين صفوفه الكثير من ضباط القوات المسلحة الفرنسية، وأتاح لهم عملهم في المستعمرات الفرنسية النبوغ في ميدان الدراسات الشرقية في مختلف جوانبها .

عنوان المحاضرة الثانية : الاستشراق الفرنسي في الجزائر

بدأت بوادر ظهور حركة الاستشراق الفرنسي بشكلٍ انفراديٍّ وتدريجيٍّ من طرف أفرادٍ أوروبيين، هم رهبانٌ ومغامرون استهوتهم الدراسات الشرقية، وحب الكشف والمغامرة، بحيث لم يكن الاستشراق في مراحله الأولى منظّمًا ورسميًّا ، لكن عندما احتلت فرنسا الجزائر شجعت المستشرقون ووفرت لهم كل الامكانيات المادية والمعنوية من أجل التغلغل في وسط المجتمع الجزائري والتحكم فيه والسيطرة عليه، فاتجهوا إلى الفرد والجماعة والأخلاق والآداب والفنون والعلوم والآثار والدين وكل ما يخص الحياة الاجتماعية للجزائريين وهذا قصد خلق مجتمع على الطريقة الغربية تحت عنوان الادماج الفرنسي، وكل هذا من أجل القضاء على اللغة والتعليم والعادات والتقاليد وتخريب الثقافة وهي أكبر جريمة ارتكبها الاحتلال الفرنسي على هذه الأرض فهو زال وبقيت رواسبه إلى يومنا هذا مازالت الجزائر تدفع ثمنها

أعلام الاستشراق الفرنسي في الجزائر

شكل الاستشراق الفرنسي في الجزائر طيلة فترة الاحتلال أحد أهم آليات اكتشاف المجتمع الجزائري واختراق بنيته ونسيجه، أين بذلت السلطات الاستعمارية مجهودات فردية وجماعية لعشرات المستشرقين على مستوى الؤسسات، من خلال عقد مختلف المؤترات والملتقيات، بمباركة الإدارة الفرنسية التي هيأت لهم كل الظروف المادية والبشرية، حيث كلّلت هذه الجهود بنشر مئات البحوث والدراسات التي تعكس

صورة المجتمع الجزائري وقد خلف الاستشراق الفرنسي في الجزائر قائمة أسماء طويلة يطول ذكرها، تنوعت مجالات اهتمامها نذكر منها على سبيل الحصر لا التمثيل.

1/ **سلفستردي ساسي:** كان أول بابا فرنسيٌ أنشأ أول مدرسةٍ عنيت بتدريس اللغة العربية وآدابها، وهي مدرسة «Reims» ريمس.[23] وقد أخذت حركة الاستشراق في فرنسا على عهده بتداءمن سنة 1838م تتخذ منحى ذو طابعٍ علميٌ على يده إذ أصبح إماما للمستشرقين في عصره، وإليه يعود الفضل في جعل باريس مركزًا للدراسات العربية يؤمها التلاميذ والعلماء من مختلف]أنحاء[أوربا ليتعلموا

2 **لويس ماسينيون:** ولد عام 1883م، في إحدى ضواحي باريس قام برحلة إلى الجزائر، تخرج من كلية الآداب عام 1902م، وحصل أيضاً على دبلوم الدراسات العليا، واشترك في مؤتمر المستشرقين في الجزائر عام 1905م، حصل على الدكتوراه برسالته عن آلام الحلاج من السوربون عام 1922م. كان موغلاً في الروحانية نتيجة اشتغاله المتواصل بفهم أسرار الصوفية . غلب عليه الطابع التنصيري فهو الراعي الروحي للجمعيات التبشيرية الفرنسية، وقد وضع اتجاهه التنصيري في خدمة السياسة الاستعمارية الفرنسية آنذاك. أما تصوفه وفلسفته فهما موظفان للنشاط التنصيري السياسي الظاهر والخفي؛ وربما كان إيمانه القوي بكاثوليكيته قد قوّى في نفسه النزعة الباطنية، وأضفى الروحية في حياته وأعماله، توفي عام 1962م. من مؤلفاته ترك ماسينيون مئات من الكتب والبحوث والرسائل والمقالات، منها

- جغرافية المغرب.
- آلام الحلاج ومذهب الحلاجية.
- أربعة نصوص متعلقة بالحلاج.
- الفولكلور لدى المتصوفين المسلمين.
- الأولياء المسلمون المدفونون في بغداد.
- الكنيسة الكاثوليكية والإسلام.
- بحوث عن الشيعة المتطرفة في بغداد في أواخر القرن الثالث للهجرة. وغيرها كثير

3/ **ليفي بروفنسال:** ولد في العاصمة الجزائر عام 1894م من أسرة يهودية، وتلقى تعليمه في ليسه قسنطينة في الجزائر. تخرج من كلية الآداب في جامعة الجزائر، يعد من من قادة الجنود المخلصين لفرنسا فقد شارك في الحرب العالمية الأولى عام 1914م، كما ساهم فكرياً بتأليف مجموعة من الكتب

والبحوث التي كان لها الأثر في مدّ الاستعمار الفرنسي بما يحتاجه من معلومات وخبرات، استطاع بدهائه إخفاء مشاعر اليهودية على الرغم من تورطه بالإساءة للإسلام والنفور من مجتمع المسلمين، مما حقق له شهرة في مجتمعه وبين قومه. كما ظهر دهاؤه في تأييد ثورة الجزائر في سنواتها الأولى رغم وجهته الاستعمارية والفكرية، عيّن أستاذاً للدراسات العربية في كلية الآداب (السوربون) بجامعة باريس وستمر في منصبه حتى وفاته عام 1956م. **ومن مؤلفاته:**

- تاريخ إسبانيا الإسلامية: صدر منه ثلاثة مجلدات.
- وثائق غير منشورة عن تاريخ الموحدين
- المخطوطات العربية في الاسكوريال.
- نقوش عربية في إسبانيا.
- إسبانيا الإسلامية في القرن العاشر الميلادي: النظم والحياة الاجتماعية. وغيرها من الكتب والترجمات والبحوث في التاريخ والأندلسيات والأنساب

4/ **ألفريد بيل** – Bel Alfred السرية والإنتاج العلمي–

ولد ألفريد بيل في ضواحي سالني بفرنسا وهناك زاول تعلميه الابتدائي مبرزا تفوقه العلمي، ولما بلغ سن السابعة عشر تحصل على شهادة البكالوريا في شعبة العلوم الجزائرومع صغر سنعه اشتغل بيل Bel معيدا في ابتدائية البليدة لينتقل بعدها إلى ثانوية وهران والتي مكث فيها مدة خمس سنوات، أشرف ألفريد بيل Bel Alfred على إدارة مدرسة تلمسان ثلاث مرات. ومن مؤلفاته:

كتاب بني سنوس ومساجدها في بداية القرن العشرين

تأتي دراسة ألفريد بيل لمساجد بني سنوس في إطار دراساته الميدانية، حيث كلفته مصلحة الاثار التارخيية عام1920م بمعاينة هذه المساجد قصد الوقوف على طابعها العمراني وإبراز قيمتها من جهة، وحماولة تصنيفها وإضفاء الطابع الرسمي عليها من جهة أخرى، وبناء على هذا قدم لنا في دراسته هذه وصفا لأربعة مساجد في قرى بني سنوس على النحو الآتي مسجد قرية الثلاثا مسجد قرية تافسرة مسجد قرية الخميس مسجد قرية بني عشير جاء هذا الوصف ليحدد خصوصيات كل مسجد.

كتاب بعض طقوس الاستمطار إبان الجفاف لدى المغاربة

يعد موضوع الاستسقاء في الجزائ، أو طلب الأمطار كما يرد في الأدبيات الفرنسية من أهم مواضيع التراث الشعبي التي لقيت اهتمام المستشرقين الفرنسيين، وتمثل طقوس بوغنجا في التطواف بمغرفة (أغنجا) مكسوة بزي عروس في موكب تشارك فيه ا والأطفال، يرددون الأهازيج والأدعية التي تعبر عن الابتهال والضعف ببراءهتم اتجاه الخالق وعدم مسؤوليتهم عن الجفاف بسبب الذنوب ، ويطوفون عبر الدواوير والقرى والأضرحة، ويتم تحصيل واستلام العطايا والصدقات من الأهالي، حيث تخصص موادها لتهيئة مأدبة طقوسية تقام قرب مجرى نهر أو على بيدر، أو في مزار، أو على قمة مرتفع حسب المناطق. هذه هي الخطوط العريضة لهذا الطقس، أما طقس الاستسقاء كما لاحظه ألفريد بيل في تلمسان، حيث يجتمع السكان عند ضريح الولي الصالح الشيخ السنوسي ويخرجون الطعام ويتناوله الكبار والصغار والفقراء والأغنياء وحتى الغرباء، وعند الانتهاء من الطعام يتم نشر ما بقي منه على الأرض لتأكل الطيورحصتها منه. كما له كتاب بعنوان "الفرق الاسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح إلى الآن" الذي يهتم بدراسة العقيدة في المغرب الاسلامي على الرغم من احتوائه على كثير من المغالطات والدسائس عن الدين الاسلامي.

5_ **جوزيف دي سبارمي:** من أشهر دراسته حول المجتمع الجزائري نجد كتاب " الفوائد في العوائد والقوائد والعوائد" وهو دراسة انتروبولوجية للمجتمع الجزائري وخاصة مدينة البليدة حيث تعرض فيه إلى الزواج والاحتفالات بعيدي الفطر وعيد الأضحى والاحتفال بالمولود الجديد وبطقوس الاستمطار خاصة طقس بوغنجة.